

الحلقة الرابعة عشرة

سفر الجامعة

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بدأنا قبل عدة لقاءات بدراسة سفر الجامعة لسليمان الحكيم، والذي يُعتبر من أسفار الحكمة. وقد عالَج هذا السفر معضلة مشاعر الإحباط واليأس عند الإنسان، حيث أكد أن كل شيء بعيد عن الله هو باطل وقبض الريح.

تابعنا في اللقاء الماضي حديث سليمان الحكيم عن ملاحظاته العامة حول الحياة، فتكلم عن تعب الإنسان وعمله نتيجة لحسده للآخرين. وقال عنه أنه باطل. وكذلك تحدث عن الكسلان وضرر ذلك على حياته. واعتبر في الختام أن العمل بحق مع تحصيل القليل، أفضل من العمل بحسد وتحصيل الكثير.

هل تحب مستمعي العمل لوحديك، وتبذل الجهد في سبيل مصالحك الخاصة فقط؟ وهل تتعب وتحرم نفسك من المسرات ساعياً وراء الغنى لكي تتمتع به لوحديك؟ وبتعبير آخر هل الأناية قد استأصلت في حياتك، حتى أنك تنتظر لمصالح نفسك فقط دون الآخرين؟ حول هذا الموضوع كتب سليمان الحكيم في سفر الجامعة قائلاً: « ثم عدت ورأيت باطلاً تحت الشمس. يوجد واحد ولا ثاني له، وليس له ابن ولا أخ ولا نهاية لكل تعب، ولا تشبع عينه من الغنى. فلَمَن أتعب أنا وأحرم نفسي الخير. هذا أيضاً باطل وأمر رديء هو» (الجامعة ٤: ٧ و٨).

هناك بعض الناس مع الأسف، من يكون هدفهم هو نفوسهم فقط. ولا يأخذون بعين الاعتبار الآخرين من ذويهم وعائلتهم، وكأن لا ابن ولا أخ ولا والدين لهم. ولهذا يكدحون ليلاً ونهاراً، بهدف تحصيل المال الكثير، ولكي يصبحوا هم أغنياء دون النظر للآخرين. وتساءل حكيم الجامعة قائلاً: لماذا يُحرم هذا الإنسان نفسه من المسرات، ويتمتع بالحياة، إذا كان هدفه هو فقط الربح الشخصي؟ واعتبر ذلك أنه باطل وأمر رديء. لأن الحصول على الأمور المادية للمنفعة الشخصية فقط، هو أناية غير مستحبة، وستعود بالضرر على صاحبها.

ثم عاد سليمان الحكيم للحديث عن أهمية النظر للآخرين والتعاون معهم. وضرورة الابتعاد عن الأناية والمصالح الشخصية. فكتب قائلاً: « اثنان خير من واحد لأن لهما أجرة لتعبهما صالحة. لأنه إن وقع أحدهما يقيمه رفيقه. وويل لمن هو وحده إن وقع، إذ ليس له ثان ليقمه» (الجامعة ٤: ٩ و١٠).

كشفت هنا الحكيم لنا عن أهمية التعاون المشترك. وتعلمنا تجارب الحياة أن هناك مردوداً أفضل، وفوائد أكثر، عندما يقوم اثنان بالعمل سوياً. وهكذا ينتفعان معاً بالنتائج، وتغدو أجرة تعبهما صالحة. ويستطيعان بالتالي أن يساعدا الآخرين من حولهما أيضاً. أي تعود الفائدة على المجتمع. ولفت انتباهنا حكيم الجامعة إلى موضوع هام آخر، وهو إن فشل أحدهما في عمل ما، فإن رفيقه في العمل سيذهب لنجدته ويساعده. بينما إذا كان شخص يقوم بالعمل لوحده، فإن وقع، أي فشل، لن يجد أي شخص لينجده ويساعده. وعندها يفشل عمله، ويخسر.

وتابع سليمان الحكيم مؤكداً على أهمية العمل الجماعي فكتب قائلاً: « أيضاً إن اضطجع اثنان يكون لهما دفء. أما الواحد فكيف يدفأ؟ وإن غلب أحد على الواحد، يقف مقابله الاثنان، والخيط المثلوث لا ينقطع سريعاً» (الجامعة ٤: ١١ و ١٢). إن المقصود هنا هو الإشارة إلى ضرورة أن يتخلى الإنسان عن أنانيته، ويسعى للتعاون مع الآخرين والعمل معهم. وقد ضرب الحكيم مثلاً من واقع الحياة، عندما تكلم عن الدفء. فعندما يضطجع اثنان معاً، يكون لهما دفء، بينما عندما يكون الإنسان لوحده فإنه لن يستطيع أن يدفأ. وضرب الحكيم مثلاً آخر من واقع الحياة، عندما تحدث أن شخصاً قد يغلب إنساناً بمفرده، بينما إذا كانا اثنين فمن الصعب قهرهما معاً. وكما هو معروف فإن وضعنا خيوطاً أو حبلاً ثلاثة في حزمة واحدة، فيصبح من الصعب قطعها. على عكس الخيط أو الحبل الواحد.

مستمعي الكريم، لقد وُجدنا في هذه الحياة ليس للعزلة عن الآخرين، بل للرفقة معهم. وليس لكي نعيش وحيداً، نتمتع بالخيرات لوحدها، بل للألفة ومشاركة الآخرين بالفوائد التي نحصل عليها. إذ لا معنى للحياة ولا جمال فيها، إذا كنا نريد أن نعيشها لوحدها فقط.

هل تعلم مستمعي السبب الذي قد يجعل البعض يفضلون العزلة والوحدة؟ إنه عدم ثقتهم بالآخرين. لقد أعمتهم أنانيتهم عن النظر بإيجابية إليهم. لكل واحد منا نقائص، وهناك في المقابل بعض الخصال الجيدة. لهذا يجب أن لا ننزل عن الآخرين، بل نسعى للتعاون معهم. لقد خلقنا الله ليس لكي نكون أنانيين نخدم أنفسنا، بل لكي نخدمه تعالى ونعيش مع الآخرين. إن الحياة الحقة تكون عندما نتعاون مع الآخرين ونحبهم. وهكذا نعمل مع الآخرين لسعادتنا وسعادتهم في نفس الوقت. إذ هناك نمو مطرد بين سعادتنا وسعادتهم.

تقدّم مرة شاب غني من المخلص المسيح وسأله قائلاً: «أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟».. فدعاه المسيح أن يحفظ الوصايا. وعندما قال له الشاب أنه حفظها منذ حدثته. أجابه المسيح: « اذهب وبع أملاكك واعط الفقراء، فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني. فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزينا. لأنه كان ذا أموال كثيرة» (بشارة متى ١٩: ١٦، ٢١-٢٢).

لقد أدرك المخلص المسيح أن هذا الشاب الغني يريد أن يحتفظ بثروته لنفسه، لا أن يساعد بها الآخرين. أي كانت أمواله الكثيرة هي العائق بينه وبين إيمانه بالمخلص المسيح، واتباعه له، وحصوله على الحياة الأبدية. ولهذا مضى حزينا.

من أي نوع أنت مستمعي؟ هل أنت من نوع الذين يحبون أن يتعاونوا مع الآخرين ويبادلوهم الخيرات؟ أم من الأنانيين الذين يريدون أن يحتفظوا بكل شيء لأنفسهم؟ وهل تجعل المال أو أي أمر آخر عائقاً يقف بينك وبين الإيمان بالمخلص المسيح، وحصولك على غفران ذنوبك والحياة الأبدية؟